واجب العلماء نحو القرآن

تأليف

غانم غالب غانم

**إمام مسجد ديرابزيع/رام الله/فلسطين**

**ماجستير في الفقه والأصول**

**بسم الله الرحمن الرحيم**

المقدمة

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم.

قال تعالى:" يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ "(آل عمران: 102).

وقال تعالى:" يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا "(النساء: 1)

وقال تعالى:" يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (70) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا "(الأحزاب: 70، 71)

أما بعد:

إن أحسن الكلام كلام الله، وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

**ثم أما بعد:**

**مهما تحدث عنه العلماء، وتكلم الدعاة والخطباء وكتب الكتاب والأدباء، فإن الكلام عنه لا ينتهي، لأنه كتاب الله: فيه نبأ ما كان قبلكم، وخبر ما بعدكم، وحكم ما بينكم، وهو ‏‏الفصل ‏ليس بالهزل، من تركه من جبار ‏ ‏قصمه ‏ ‏الله، ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله.**

**وهو حبل الله المتين، وهو الذكر الحكيم، وهو الصراط المستقيم، هو الذي لا ‏ ‏تزيغ ‏ ‏به الأهواء، ولا تلتبس به الألسنة، ولا يشبع منه العلماء، ولا ‏ ‏يخلق ‏ ‏على كثرة ‏ ‏الرد، ‏ ‏ولا تنقضي عجائبه.**

**هو الذي لم تنته الجن إذ سمعته حتى قالوا:"** إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا (1) يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ" (الجن:2،1 )**.  
‏من قال به صدق، ومن عمل به أجر، ومن حكم به عدل، ومن دعا إليه هدى إلى صراط مستقيم"(1).**

**ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ**

1. **جزء من حديث رواه الترمذي: 2831، وقال: هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه، وإسناده مجهول وفي الحارث مقال.**

وقال الشيخ الألباني في المشكاة (2138): ضعيف جدا.

**فالقرآن عصمة واقية، ونعمة باقية، وحجة بالغة، ودلالة دامغة، وهو شفاء لما في الصدور، والحكم العدل عند مشتبهات الأمور، وهو الكلام الجزْل، وهو الفصل الذي ليس بالهزل، سراج لا يخبو ضياؤه، وشهاب لا يخمد نوره وسناؤه، وبحر لا يُدرك غورُه، بهرت بلاغتُه العقولَ، وظهرت فصاحته على كل مقول.**

**كل كلمة منه لها من نفسها طرب، ومن ذاتها عجب، ومن طلعتها غُرّة، ومن بهجتها دُرّة، لاحت عليه بهجة القدرة، ونزل ممن له الأمر فله على كل كلام سلطان وإمرة، بهر تمكنُ فواصله، وحسن ارتباط أواخره بأوائله، وبديعُ إشاراته، وعجيب انتقالاته، من قصص باهرة، إلى مواعظ زاجرة، وأمثال سائرة، وحكم زاهرة، وأدلة على التوحيد ظاهرة، وأمثال بالتنزيه والتحميد سائرة، ومواقع تعجب واعتبار، ومواطن تنزيه واستغفار.**

**إن كان الكلام ترجية ًبسط، وإن كان تخويفا قبض، وإن كان وعدا أبهج، وإن كان دعوة جذب، وإن كان زجراً أرعب، وإن كان ترغيباً شوق.**

**فسبحان من سلكه ينابيع في القلوب، وصرفه بأبدع معنى وأعذب أسلوب، لا يستقصي معانيه فهمُ الخلق، ولا يحيط بوصفه على الإطلاق ذو اللسان الطلق، فالسعيد من صرف همته إليه، ووقف فكره وعزمه عليه، والموفق من وفقه الله لتدبره، واصطفاه للتذكير به وتذكره.**

**أندى على الأكباد من قطر الندى وألذ في الأجفان من سِنَةِ الكرى**

**يملأ القلوب بشرا، ويبعث القرائح عبيرا ونشرا، يحيي القلوب بأوراده، ولهذا سماه الله روحا فقال سبحانه: "يُلْقِى ٱلرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَىٰ مَن يَشَاء مِنْ عِبَادِهِ"(غافر:15)، فسماه روحا لأنه يؤدي إلى حياة الأبد، ولولا الروح لمات الجسد.**

**إخوتي وأحبتي:**

**إن هذا القرآن أنزل ليكون منهج حياة هي خير حياة وأسعدُها، ومرشداً إلى سبيلٍ هو أقوم سبيل وأنجحُه، يهذبُ النفوس ويزكيها، ويقوِّم الأخلاق ويعليها، يقودُ من اتبعه إلى سعادة الدارين، وينجيه من شقاوة الحياتين، "فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلاَ يَضِلُّ وَلاَ يَشْقَىٰ(123) وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكاً" (طه:123، 124).**(1).

ولأنه كتاب الله العظيم، والتقصير في شأنه مصيبة على الفرد والأمة، فأحببت أن أكتب عن واجب أخص الناس، والفئة الأولى المسؤولة عن حمل القرآن: العلماء.

فكان عنوان بحثي: **واجب العلماء نحو القرآن.**

فالقرآن أمانة ومسؤولية في أعناق جميع المسلمين، وكلما عظم شأن الإنسان كبرت مسؤوليته تجاه هذا القرآن.

ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

(1) من موقع المنبر: www.alminbar.net/ بتصرف.

فمن العوام من إذا عمل بالأحكام التي في القرآن كان مأجورا محمودا في الدنيا والآخرة، ولكن ليس هذا شأن العالم ولا يصلح له.

فالقرآن له عليه حق كبير: من حفظه وتبليغه والعمل به والوقوف على معانيه وبيانها، والدعوة إلى تطبيقها.

والعمل مع القرآن، وللقرآن شرف عظيم لأي مسلم: عالم وغير عالم، لأن القرآن محفوظ بحفظ الله سبحانه، كما قال الحق تبارك وتعالى:" إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ" (الحجر: 9).

فإن عملنا للقرآن كان لنا الأجر والرفعة والشرف في الدنيا والآخرة، وإن تولينا فإن الله يستبدل قوما غيرنا، ولا يكونوا أمثالنا.

والعلماء هم أحق الناس بالعمل للقرآن لما آتاهم الله من فهم وعلم وحكمة، وقد صار اليوم العلماء من غير العرب يبحثون في القرآن الليل والنهار لمعرفتهم بعظم شأن هذا القرآن، وحتى منهم العديد من غير المسلمين، فكيف بعلماء المسلمين عامة، والعرب منهم خاصة سيما وأنهم أهل اللغة التي نزل بها القرآن كما قال سبحانه:" وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ" (النحل: 103).

وليس هنا مجال بسط الكلام عن واجبات العالم نحو القرآن، بل لا بد من قراءة هذا البحث المتواضع.

ولا بد أن أشير أني لم أجد كتابا مستقلا، ولا بحثا مفردا، فيما اطلعت عليه من كتب، ومواقع إسلامية على شبكة الانترنت يتحدث عن هذا الموضوع بشكل خاص.

ووجدت بحثا استفدت منه على موقع المختار الإسلامي: (islamselect.net/mat/40739)

بعنوان: واجب المسلمين نحو القرآن(للكاتب محمد الأنصاري)، فهو يتحدث عن المسلمين بشكل عام دون تخصيص بين عالم وأمي.

وفي الختام أسأل الله أن يرزقني الإخلاص في الكتابة، وأن ينفع به المسلمين، لأنه ما كان لله فسيبقى، وما كان لغيره فلا يدوم مهما لمع في الأفق فإنه سرعان ما يسقط على صاحبه في الدنيا، ويعاقب عليه يوم القيامة.

وإن أخوف ما أخاف منه الرياء والمدح، فإنهما يذهبان ببركة العمل، ولطالما جاهدت نفسي(كلما ألقيت درسا أو كتبت بحثا) على الإخلاص ولا زلت، ولكن لا بد من دعوة بظهر الغيب من تقي نقي خفي مخلص: فأنا أنتظرها.

**الواجب الأول: حفظ القرآن والعناية به.**

إن شرف حفظ القرآن والعناية به يتطلب من العلماء الجهد والوقت والاهتمام الكبير، لأن الحرب في زماننا أشرس من ذي قبل، خصوصا مع التقدم العلمي الهائل في هذا الزمن، فما تقذفه الفضائيات، وشبكات المعلومات فضلا عن المؤسسات المعادية الرسمية، والخاصة من سموم ليعدل أضعاف ما قدمه أهل الجاهلية في صدهم عن سبيل الله، ومحاولة تحريف القرآن وإبعاد المسلمين عنه.

 وهذا كله يحتم على العلماء بأن يكونوا على قدر كبير من المسؤولية تجاه أعظم كتاب في الدنيا، في الذب عنه وحفظه والعناية به بكل ما هو ممكن، ومن ذلك:

1. **مراقبة المطابع:**

فمن العناية بالقرآن بداية مراقبة أصحاب النيات السليمة من أصحاب المطابع الذين يطبعون القرآن، خوفا من وقوع الخطأ في هذا الكتاب العظيم، فيقفوا على كتابته ومتابعة ذلك أولا بأول، لألا يكون في ذلك ذريعة من المغرضين لنشر هذه الطبعات بين المسلمين وتلبيس أمر القرآن عليهم، خصوصا العوام منهم، الذين قد لا يستطيعوا التمييز إذا سقط من القرآن كلمة، أو بضع كلمات، ولا شك أن هذا فيه من الفتنة ما فيه، سيما وأن المسلمين الأوائل كادوا أن يقتتلوا ويختلفوا ويكفر بعضهم بعضا نتيجة الاختلاف في القراءات، الأمر الذي دعا أمير المؤمنين عثمان رضي الله عنه لجمع القرآن على لهجة قريش(1).

وإذا كان هذا في الجيل الأول الذي حمل الإسلام بصدق وأمانة، فكيف بهذه الأجيال التي لا يكترث أكثرها بهذا التراث العظيم.

ونحن نرى ذلك واقعا دون أن يخبرنا أحد فعندما نسأل العديد من الشباب هل سمعتم بسورة اسمها: النحل مثلا(2)، يجيب العشرات منهم أنهم لم يسمعوا بها في حياتهم،

من منكم قرأ القرآن في حياته مرة واحدة؟

يجيب العشرات أنهم لم ينالوا هذا الشرف بعد.

فلو دُسَّت لهذا الجيل كلمة أو كلمات لما تنبهوا إليها، وقد ذكر الشيخ الشعراوي في تفسيره

ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

1. الجامع لأحكام القرآن: 1/49.
2. عدا عن غيرها من السور الكثير، وهذا ما جربته بنفسي، عندما سألت طلابا في الصف التاسع(يعني أعمارهم: 15 سنة): هل سمعتم بسورة العنكبوت، فالعديد منهم لا يعرفونها، ومن ثم وجدت طلاب الصف الحادي عشر(17 سنة) لم يسمعوا بسورة النحل وغيرها من السور، فإلى من يترك هؤلاء؟!

أن العديد من المطابع التي يعادي أهلها الإسلام حاولت أن تطبع نسخا مزورة للقرآن (فيها كذب وتدليس) حتى يلبسوا على المسلمين أمر دينهم، ولكنهم في كل مرة يفشلوا والحمد لله.

فلما علموا أنه لا يمكن أن يدخلوا للمسلمين من القرآن بالتدليس والكذب فقد حاولت مطبعة غربية أن تفعل ذلك بطريق خبيث، فطبعت نسخا من المصحف كاملة ليس فيها أي تحريف إلا في قوله تعالى:" مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاء عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاء بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا..."(الفتح: 29).

فكانت النسخة المطبوعة:" مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاء عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاء بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا" فأضافوا إليها "صلى الله عليه وسلم" ومع عظم هذه الكلمة إلا أنها ليست قرآنا، ومن يتنبه لمثل هذا إلا العلماء الأفذاذ الذين سرعان ما أمروا المسلمين بحرق هذه النسخ(1).

1. **محاربة المعتدين:**

ومن العناية بالقرآن محاربة كل من يحاول الاعتداء على القرآن، سواء بالتدنيس، أو التطاول، أو الاستهزاء والسخرية، والوقوف في وجهه أيا كان، سواء حكومات أم جماعات أم أفراد.

وكذلك تفنيد كل الشبه التي تُوجه ضد القرآن لصد المسلمين عنه، ولتشويه صورته أمام من يحب الإيمان به، سواء أكانت هذه الشبه من أعداء الدين من الكفار والمستشرقين، أم من أعداء أهل السنة على وجه الخصوص كالذين يقولون بأن القرآن ناقص: الشيعة ومن تابعهم من الفرق الباطلة(2)، فلا بد من بيان زيف هؤلاء لأن بعض المسلمين استهوتهم بعض هذه الأفكار لضعف إيمانهم، أو لقلة علمهم، أو انسياقهم وراء دريهمات.

1. **التأليف:**

وعلى العلماء كذلك أن يؤلفوا في متشابه القرآن، أو في تفسير بعض الآيات التي قد تخفى على الكثير من الناس، علما بأن البعض يفسرها ويخوض فيها وفقا لهواه، أو اعتمادا على سليقته اللغوية العامية البسيطة.

1. **حفظ القرآن:**

ومن العناية التي تقع على عاتق العلماء حفظ القرآن وتشجيع طباعته، وحفظه بكافة السبل المتاحة خصوصا في عصر العلم والتكنولوجيا، فمطلوب حفظه على شبكات الانترنت، وكافة الأنظمة المتعلقة بالكمبيوتر، وتشجيع المطابع على طباعته.

ومن أعظم السبل التي يحفظ فيها القرآن صدور العباد، فلا بد من تشجيع شباب المسلمين ــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

(1) تفسير الشعراوي: 1/2185

(2) حقيقة الشيعة وهل يمكن تقاربهم مع أهل السنة: ص313.

وأطفالهم على حفظ القرآن، وفتح المراكز لذلك، وإيجاد التحفيزات اللازمة لهذه المهمة، من الهدايا للأطفال، والإكراميات لمن يقوم على حلقات التحفيظ، وعمل الاحتفالات لهؤلاء الحفظة، وإكرامهم في كل مكان، فيقدموا في كافة الفعاليات، ويحترموا في كافة المجالات، ويبين أن هؤلاء حملة القرآن، امتثالا لقول النبي صلى الله عليه وسلم:" إن من إجلال الله تعالى إكرام ذي الشيبة المسلم، وحامل القرآن غير الغالي فيه والجافي عنه، وإكرام ذي السلطان المقسط".

رواه أبو داود: 4843، وحسنه النووي في رياض الصالحين: 354.

وحامل القرآن: حافظه.

غير الغالي فيه: الغلو في القرآن: التشدد فيه وتتبع ما خفي منه واشتبه من معاني.

الجافي عن القرآن: المعرض عن تلاوته والعمل بأحكامه.

والسلطان المقسط: أي العادل بين الرعية(1).

وما أجمل أن يقوم العلماء بأنفسهم على هذه المراكز حسبة لوجه الله تعالى، دون أن يطلبوا أجرا من أحد.

فيتابعوا القائمين على هذه المراكز، ويواكبوهم أولا بأول، ويستعملوا الأساليب المعنوية الدينية التي تغرس في القلوب حب الانتماء لهذه الأمة ودستورها المتمثل في القرآن العظيم والسنة النبوية الشريفة، فيُحَبَبُ الناس في حفظ القرآن بالأدلة من القرآن والسنة.

مثلا: كقول النبي صلى الله عليه وسلم:" يجيء القرآن يوم القيامة كالرجل الشاحب يقول لصاحبه: هل تعرفني؟

أنا الذي كنت أسهر ليلك و أظمئ هواجرك، و إن كل تاجر من وراء تجارته، و أنا لك اليوم من وراء كل تاجر،

فيعطى الملك بيمينه، و الخلد بشماله، و يوضع على رأسه تاج الوقار، و يكسى والداه حلتين لا تقوم لهم الدنيا و ما فيها،

فيقولان: يا رب! أنى لنا هذا ؟ فيقال: بتعليم ولدكما القرآن،

وإن صاحب القرآن يقال له يوم القيامة: اقرأ و ارق في الدرجات، ورتل كما كنت ترتل في الدنيا، فإن منزلك عند آخر آية معك".

رواه الطبراني في الأوسط: 5764، وصححه الشيخ الألباني في السلسلة الصحيحة: 2829.

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما عن النبي http://www.alminbar.net/../images/salla-icon.gifقال: "يقال لصاحب القرآن: اقرأ وارق

ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

(1) عون المعبود: 13/140.

ورتل كما كنت ترتل في الدنيا، فإن منزلتك عند آخر آية تقرؤها".

رواه الترمذي: 2914، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة: 2240.

 كما على العلماء واجب المدارسة الجماعية للقرآن، لأنها تشحذ الهمم، وتقوي العزائم على حفظ القرآن، ولا يشعر الطلاب فيها بالملل، ويكون فيها حب المنافسة بين الطلاب، وتُصحح فيها الأخطاء التي قد يرتكبها بعض الطلاب أثناء تلاوتهم، عدا عن الأجور العظيمة التي يتحصل عليها الجميع.

كما لا يخفى أنه يستحب أن تكون هذه المدارسة في بيوت الله، كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" ما اجتمع قوم في بيـت مـن بيـوت الله يتـلون كـتاب الله ويـتدارسونه بينهم، إلا نزلت عليهم السكينة، وغشيتهم الرحمة، وحفّتهم الملائكة، وذكرهم الله فيمن عنده".

رواه مسلم: 7028.

 وكثيرا ما نتج عن هذه الحلقات رجال يحملون الإسلام بحق، ويرفعون رايته، ويدافعون عنه، ويحسون بشرف انتمائهم لهذه الأمة، فيجب على العلماء مواكبة هؤلاء الشباب ومتابعتهم، سيما وهم الأمل الذي على ظهره ستُرفع راية الإسلام إن شاء الله.

وأنا أنصح القائمين على حلقات القرآن من خلال تجربتي بذلك خلال اثني عشر عاما أن لا يستهينوا بأي طالب مهما كانت قدرته في الحفظ، فبعض القائمين على حلقات التحفيظ هداهم الله ليس عندهم صبر، فبمجرد أن يروا حفظ الطالب ضعيفا فلا يهتموا به فيكون إهمالهم له كافيا لتنفيره من المسجد، فيترك الصلاة ويمشي مع رفقاء السوء.

وقد رأينا من خلال الصبر على العديد من الطلاب أن الدعوة قد استفادت من هؤلاء كثيرا، وربما أكثر من بعض الحفظة، فالصبر الصبر على طلاب القرآن.

**الواجب الثاني: تعليم الناس تلاوة القرآن.**

لقد ميز الله تعالى كتابه بخصوصية تختلف عن باقي الكتب، فهو ليس شعرا، ولا نثرا، فقراءة القرآن تحتاج إلى مهارة ومتابعة، ولا تتعلق قراءته بالدرجة العلمية التي يحملها الإنسان، ولا بالمعدل المدرسي الذي حصل عليه، وإنما تحتاج إلى السماع والتلقي وكثرة القراءة، وبدون السماع والتعلم لا يمكن أن نستطيع قراءة: آلم، كهيعص، عسق، وغيرها.

والمسلم إذ يتعلم قراءة القرآن، فإنما يمتثل لأمر ربه في ذلك، فنقرأ في كتاب الله تعالى: "وَرَتِّلِ الْقُرْآَنَ تَرْتِيلًا "(المزمل: 4)، وقوله تعالى:" فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ "(المزمل: 20)، وقوله تعالى:" إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَنْ تَبُورَ (29) لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ"(فاطر: 30،29).

وقد حثنا كذلك المصطفى صلى الله عليه وسلم في أحاديث كثيرة على قراءة القرآن، فمن جملة ما قال:" من قرأ حرفا من كتاب الله فله به حسنة، والحسنة بعشر أمثالها، لا أقول الم حرف ولكن ألف حرف ولام حرف وميم حرف"

رواه الترمذي: 2910، وقال: هذا حديث حسن  صحيح غريب، وصححه الشيخ الألباني في صحيح الترغيب والترهيب: 1416.

وقال أيضا:" اقرؤوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعا لأصحابه ".

رواه مسلم: 1910.

ومن خلال ما سبق من الأدلة يتبين أن على المسلمين اليوم، أفراداً وأسراً ومجتمعات، أن يخصصوا أوقاتاً بالليل والنهار سراً وعلانية لقراءة القرآن وتلاوته، قراءة تكون على منهاج قراءة النبي صلى الله عليه وسلم، كما هو واضح في قوله تعالى: "وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنزِيلاً" (الإسراء: 106).

ويلحق بذلك واجب السماع والاحترام للقرآن كما أمر ربنا تبارك وتعالى:" وَإذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ "(الأعراف: 204).

 وهذا كله في الحقيقة واجب الدعاة والعلماء أن يبينوا للناس كيفية التلاوة الصحيحة، فيعلموا الناس حسن النطق بالحروف وصحة النطق بالحركات، وكيفية تطبيق أحكام التجويد.

ولا بأس أن يعطوا كل واحد بقدر استيعابه، فهذا يستطيع قراءة القرآن بدون أخطاء في الحركات، وآخر يستطيع أن يزيد على ذلك تعلم أحكام النون الساكنة والتنوين، وذاك يجيد مخارج وصفات الحروف.

فيشجعوا الجميع دون انتقاص من قيمة أحد حتى لا يشعر أحد بأن القرآن لا يعنيه، أو أن القرآن يخاطب العلماء وطلاب العلم فقط.

بل كما وصف النبي صلى الله عليه وسلم:" الذي يقرأ القرآن ويتتعتع فيه وهو عليه شاق له أجران، والماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البررة".

رواه مسلم: 1898.

فيعقدوا لذلك الجلسات والحلقات خصوصا في المساجد، ويرغبوا الناس لتعلم القرآن، وأكثر الأبواب التي من خلالها يتم الدخول لقلوب الناس الأمور الدينية المعنوية، والتي من خلالها يغرس في القلوب شوق تعلم هذا الكتاب العظيم.

يقول النبي صلى الله عليه وسلم:"خيركم من تعلم القرآن وعلمه" رواه البخاري: 4739.

ولا شك أن أنجح الحلقات التي يقوم عليها معلمون لا يبتغون إلا وجه الله تعالى، فليس المال كل شيء، فربما يفسد النفوس الضعيفة فلا يكون في عملها البركة.

ولو كان مع القراءة شيء من التفسير والتدبر للقرآن لكان أنفع، وأدعى للقبول، وأرغب في الحضور.

قال سبحانه:" أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآَنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا "(النساء: 82).

والتدبر يحصل فيه نوع من الخشوع فيرق القلب ويستحضر عظمة الله، وتدمع العين لسماع القرآن، ويحصل بهذا نوع عظيم من التشجيع للاستمرار في تعلمه، والله تعالى يقول:" أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْـحَقِّ "(الحديد: 16).

يقول الشيخ محمد ملحس: "تعلم القرآن فرض على كل قارئ مكلف مسلم ومسلمة"(1).

وإن كنت لا أميل إلى هذا الرأي الفقهي إلا أن له حظ من النظر

سئل الشيخ العلامة ابن عثيمين:

"هل يجوز للمسلم أن يقرأ القرآن دون الانضباط ببعض أحكام التجويد؟

الجواب: نعم يجوز ذلك إذا لم يلحن فيه فإن لحن فيه فالواجب عليه تعديل اللحن.

وأما التجويد فليس بواجب،

التجويد: تحسين للفظ فقط وتحسين اللفظ بالقرآن لا شك أنه خير وأنه أتم في حسن القراءة، لكن الوجوب بحيث نقول: من لم يقرأ القرآن بالتجويد فهو آثم، قول لا دليل عليه بل الدليل على خلافه.

بل إن القرآن نزل على سبعة أحرف حتى كان كل من الناس يقرؤه بلغته، إلا أنه بعد أن خيف النزاع والشقاق بين المسلمين وحد المسلمون في القراءة على لغة قريش في زمن أمير المؤمنين ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

(1) أحكام تجويد القرآن على رواية حفص بن سليمان: ص20.

عثمان بن عفان رضي الله عنه، وهذا من فضائله ومناقبه وحسن رعايته في خلافته أن جمع الناس على حرف واحد لئلا يحصل النزاع.

والخلاصة أن القراءة بالتجويد ليست بواجبة، وإنما الواجب إقامة الحركات والنطق بالحروف على ما هي عليه فلا يبدل الراء لاما مثلا ولا الذال زاياً وما أشبه ذلك هذا هو الممنوع".

وسئل كذلك رحمه الله:

"هل يلزم لقارئ القرآن أن يكون ملماً بأحكام التجويد؟

الجواب: لا يلزم لقارئ القرآن أن يكون ملماً بقواعد التجويد، ولا يشترط أن تكون تلاوته بالتجويد.

بل هو مأجور مثاب على قراءته الحروف على ما هي عليه، والحركات على ما هي عليه، وإن لم يراع قواعد التجويد لكن التجويد في بعضه تحسين للفظ، وتزيين للصوت، ومن المعلوم أنه ينبغي للمرء أن يحسن صوته بكتاب بالله العزيز نعم".

وسئل كذلك رحمه الله:

"ما معنى حديث (ليس منا من لم يتغن بالقرآن)؟

الجواب: اختلف شراح الحديث في معناه:

فقيل: المعنى ليس منا من لم يستغنى بالقرآن عن غيره، فيكون في ذلك دليل على تحريم الرجوع إلى غير القرآن في العبادة والمعاملات وغيرها.

وقيل: معنى من لم يتغنى بالقرآن أي من لم يحسن صوته الذي يجب عليه في أداء القرآن، لأنه يجب على الإنسان أن يحسن صوته على وجه تبين به مخارج الحروف، ولا يحصل فيه إدغام يسقط بعض الحروف بغير ما تقتضيه اللغة العربية، والمعنيان كلاهما صحيح.

فالواجب على الإنسان أن يتقن اللفظ بالقراءة في كتاب الله عز وجل، وعلى الإنسان أن لا يعدل عن القرآن إلى غيره في التعبد والمعاملات.

وأما التجويد المعروف فهذا ليس بواجب لكنه من تحسين الصوت بالقراءة لا شك فهو من المحسنات وليس من الواجبات"(1).

ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

(1) هذه الفتاوى على موقع ملتقى أهل الحديث: www.ahlalhdeeth.com/[نسخة مخبأة](http://webcache.googleusercontent.com/search?q=cache:T0-LCfmIN5QJ:www.ahlalhdeeth.com/+%D9%85%D9%84%D8%AA%D9%82%D9%89+%D8%A3%D9%87%D9%84+%D8%A7%D9%84%D8%AD%D8%AF%D9%8A%D8%AB&cd=1&hl=ar&ct=clnk&gl=sa) - [مماثلة](http://www.google.com.sa/search?hl=ar&q=related:www.ahlalhdeeth.com/+%D9%85%D9%84%D8%AA%D9%82%D9%89+%D8%A3%D9%87%D9%84+%D8%A7%D9%84%D8%AD%D8%AF%D9%8A%D8%AB&tbo=1&sa=X&ei=3iwyUNj6JIjLsgaft4HwCQ&ved=0CEYQHzAA)

**الواجب الثالث: العمل به والدعوة إلى تطبيق أحكامه.**

لقد نزل القرآن ليكون منهاج حياة يحيا به المسلمون، ويعملون بأحكامه، قبل أن يكون منهلا علميا ضخما للعلماء وطلاب العلم، فهو كتاب هداية بسيط فهمه، سهل تطبيقه كما وصفه الله تعالى: "كتاب مبين" (المائدة: 15).

إذا قرأه العامي فهم ما المطلوب منه، وما الغرض الذي يريده الله أساسا من القرآن، والمتمثل في قوله تعالى:" وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ" (الذاريات: 56).

فواجب العلماء كبير من هذه الناحية لتوجيه الأمة نحو دستورها: القرآن، وإرشاد الناس إليه، وإلى تطبيق أحكامه، وتحكيم ما جاء به من القوانين الربانية.

ونحن نعيش في ساحة إسلامية تعج وتموج كموج البحر بالأفكار الدخيلة، والتي تخالف القرآن صراحة، بل وتدعوا إلى الفصل بين القرآن والحياة بكافة أشكالها: السياسية والاقتصادية والاجتماعية، حتى غدا العديد من المسلمين دعاة ضلالة على أبواب جهنم يدعون ما يدعو إليه الكفرة من قبلهم بعبارتهم المشهورة: دع ما لقيصر لقيصر وما لله لله.

 ومن المؤسف حقا أن تلتبس الأمور وتختلط الأوراق على الكثير من المسلمين، ليس فقط على العوام، بل على الكثير من حملة الشهادات.

حتى غدا واقعا من يصلي ويصوم ويزعم أنه من المسلمين بل ومن المؤمنين، ويتبنى من الأفكار الأرضية والقوانين الوضعية ما يناقض زعمه الباهت أنه مؤمن بالقرآن، والمساجد تعج بهذه الشخصيات ويدافعون عن باطلهم وبكل شدة وعنجهية، ولعل هؤلاء الناس ينطبق عليهم قول بعض السلف:" رب تال للقرآن والقرآن يلعنه".

لأنه سيقرأ في القرآن: "أَلاَ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ" (هود: 18)، فلا يدري أنه منهم.

ويقرأ:" وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ (المائدة: 44)، فيكون منهم دون أن يعلم.

ومن هنا يقع على عاتق العلماء الشيء الكثير، فلا بد من الدعوة بالقرآن، والدعوة للقرآن، وكما قال سبحانه:" وَجَاهِدْهُم بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا "(الفرقان: 52)، وكما قال رسولنا صلى الله عليه وسلم: "بلغوا عني ولو آية" رواه البخاري: 3274.

فواجب العلماء بما آتاهم الله من قوة وفصاحة وعلم أن يحببوا الأمة في القرآن، ويبينوا لهم أن الأمة سادت بالقرآن القرون الطويلة، وحققت بالقرآن الإنجازات الكثيرة في فترة لا تساوي في حساب الزمن شيئا، وما ذلت الأمة وانهارت وصارت لقمة سائغة للقريب والبعيد إلا لما تخلت عن دستورها القرآن.

كما ويمكن للعلماء أن يدخلوا إلى عقول الأمة وإقناعها بالعودة للعمل بأحكام القرآن بأن القرآن: كتاب ليس فيه نقص ولا عيب، لأن الله تحدى به البشر فعجزوا:

"وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُواْ شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ "(البقرة: 23).

"أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ وَادْعُواْ مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (38) بَلْ كَذَّبُواْ بِمَا لَمْ يُحِيطُواْ بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ "(يونس: 38،39).

"أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُواْ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُواْ مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ" (هود: 13).

والعالم يقف حياله منبهرا بما فيه من مزايا عظيمة، وبما فيه من إعجازات على كافة المستويات، خصوصا: الإعجازات العلمية والتي يتم اكتشافها تباعا، والقرآن قد أكد عليها، أو أشار إليها قبل قرون طويلة.

فالدعوة لتطبيق القرآن لا بد وفي ظل غياب الدولة الإسلامية التي تطبق القرآن أن تكون بالإقناع، والدعوة الصادقة الجادة المخلصة من العلماء إلى غرس القرآن في نفوس الناس، وتعظيمه وتقديسه، وأن يكون القرآن في القلب، وعلى اللسان، والجوارح تعمل به.

**الواجب الرابع: البحث فيه واستخراج كنوزه.**

لقد تبين للقاصي والداني أن القرآن كتاب معجز، وأنه ليس من صنع البشر، وهذا ما شهد به الكفار والأعداء من عهد النبي صلى الله عليه وسلم إلى يومنا هذا.

وليس أدل على ذلك من شهادة ألد خصوم النبي صلى الله عليه وسلم الوليد بن المغيرة:

" لما اجتمع إليه نفر من قريش، وكان ذا سن فيهم وقد حضر الموسم، فقال لهم: يا معشر قريش! إنه قد حضر هذا الموسم، وإن وفود العرب ستقدم عليكم فيه، وقد سمعوا بأمر صاحبكم هذا، فاجتمعوا فيه رأيا واحدا، ولا تختلفوا فيكذب بعضكم بعضا، ويرد قولكم بعضه بعضا،

قالوا: فأنت يا أبا عبد شمس، فقل وأقم لنا رأيا نقول به،

قال: بل أنتم فقولوا اسمع،

قالوا: نقول: كاهن،

قال: لا والله ما هو بكاهن لقد رأينا الكهان فما هو بزمزمة الكاهن ولا سجعه،

قالوا: فنقول: مجنون،

قال: ما هو بمجنون لقد رأينا الجنون وعرفنا فما هو بخنقه ولا تخالجه ولا وسوسته،

قالوا: فنقول: شاعر،

قال ما هو بشاعر لقد عرفنا الشعر كله رجزه وهزجه وقرضه ومقبوضه ومبسوطة فما هو بالشعر،

قالوا: فنقول: ساحر،

قال: ما هو بساحر لقد رأينا السحار وسحرهم فما هو بنفثهم ولا عقدهم،

قالوا: فما نقول يا أبا عبد شمس؟

قال: والله إن لقوله  لحلاوة، وإن أصله لعذق وإن فرعه لجناة" (1).

والقرآن الكريم لا تنتهي عجائبه، ولا تنقضي غرائبه، وكلما دارت عجلة الزمان، وتقدم العلم وظهرت الاختراعات والاكتشافات تبين أن القرآن فوق كل هذه العلوم، وفوق كل تقدم علمي.

ومن هنا يكمن واجب العلماء في التفتيش عن كنوز القرآن، والبحث عن علومه، فصحيح أنه نزل

ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

(1) السيرة النبوية: 2/105.

بداية ونهاية على أنه كتاب هداية وأحكام وتطبيق، إلا أنه منهل علمي كبير لكل عالم وطالب علم.

فواجب العلماء إنشاء المعاهد والجامعات المتخصصة في علوم القرآن وإعجازه، في كل زاوية من زوايا العلم.

ففي المجال الطبي نجد للقرآن باعا كبيرا في الدلالة على أصناف كثيرة من الأدوية المادية، فضلا عن الأدوية المعنوية لعلاج العديد من الأمراض النفسية والتي تستعصي على كبار علماء النفس.

ولا يخفى دور القرآن العظيم في علاج الحسد والسحر وكثير من المشاكل النفسية كالقلق واليأس والحيرة، وفي ذلك يقول الحق سبحانه وتعالى جامعا لكل الطب في القرآن الكريم:

" وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآَنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا "(الإسراء: 82).

وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يعلم أمته التداوي بالقرآن والعلاج به(1).

وفي المجال العلمي بشكل عام قد ظهر العديد من الاكتشافات الحديثة والتي قد ذكرها القرآن إشارة، أو صراحة قبل أكثر من ألف وأربعمائة سنة.

وفي المجال اللغوي تتجلى روعة القرآن وعباراته ونظمه وترتيبه بما لا يدع لكل ذي لب وبصيرة باللغة أنه كتاب معجز.

فالبحث في القرآن بكافة الأشكال والألوان له ميزته عدا عن كونه شيقا عذبا.

فنثبت للكفار الذين يريدون الحقيقة أنه كتاب معجز فيؤمنوا، ونفحم أعداء الدين من الكفرة والمنحرفين الذين يطعنون في القرآن ويحاولون تشكيك الناس فيه.

كما وندخل الطمأنينة العظيمة في نفوس المؤمنين المتمسكين بالقرآن، فيزدادون بذلك إيمانا.

ونستفيد أيضا من النواحي العلمية في ذلك بما يعطينا القرآن من جديد، ويعلمنا من جديد.

ــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

(1) ومن ذلك إقرار النبي صلى الله عليه وسلم الثلاثة من الصحابة الذين عالجوا الملك الكافر الملدوغ  بالأفعى بقراءة سورة الفاتحة عليه وأخذهم الأجرة على ذلك، كما جاء في حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، قال: "نزلنا منزلا فأتتنا امرأة فقالت: إن سيد الحي سليم لدغ، هل منكم من راق؟

فقام معها رجل منا ما كنا نظنه يحسن رقية، فرقاه بفاتحة الكتاب فبرأ، فأعطوه غنما، وسقونا لبنا،

فقلنا: أكنت تحسن رقية؟

فقال: ما رقيته إلا بفاتحة الكتاب.

قال: فقلت لا تحركوها حتى نأتي النبي صلى الله عليه وسلم، فأتينا النبي صلى الله عليه وسلم، فذكرنا ذلك له، فقال: ما كان يدريه أنها رقية أقسموا واضربوا لي بسهم معكم".

رواه البخاري: 5404، ومسلم واللفظ له: 2201.

**الخاتمة**

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وبفضله ومنه وكرمه تختم الأعمال والطاعات.

وإني وفي نهاية كتابتي لهذا البحث أرجو من العلماء أن يكونوا على القدر المرجو منهم في الدفاع عن القرآن، والذود عنه بكل ما أوتوا من فصاحة وبيان وحجة وبرهان، حتى لو أدى ذلك إلى ذهاب المال والنفس.

كما وأرجو منهم أن يدعو إليه ويبينوا للناس مزاياه العظيمة، فيبينوا لغير المسلمين قيمته وضرورة الإيمان به، حتى يسعدوا بالقرآن، وتسعد البشرية بهم، ويكونوا من الفائزين يوم القيامة.

ويبينوا للمسلمين قيمة ما يحملونه من كتاب، فيه الهداية والبرهان، والأحكام الحسان، التي من عمل بها ساد وقاد وسعد في الدنيا والآخرة كما هو حال سلفنا الأول: جيل القرآن.

لأنه وللأسف: أكثر المسلمين اليوم لم يتعرفوا على قيمة القرآن، فهم مسلمون لأن ولدوا كذلك، ولو أدركتهم الجاهلية لما أسلم منهم إلا من أدركته عناية الله ورحمته.

وأنت تلمس ذلك واضحا عندما ترى من أسلم من الكفار: كيف يعرف قيمة القرآن والدين، ومدى فرحه بالإسلام؟

فهو يتحدث إليك ولا يستطيع أن يعبر لك عن شعوره بذلك.

وبين من يحمل الإسلام اسما.

هذه وصايانا للعلماء.

وأما لأنفسنا ولعامة المسلمين أن نجل هؤلاء العلماء، ونتبع أقوالهم ونعمل بها، ونساعدهم في حفظ ورعاية القرآن.

وفي الختام هي أقوال وكتابات إن كان فيها إخلاص وعمل بها أصحابها والقراء كانت النتائج، وظهر الخير على الأرض، وإن كانت الكلمات للشهرة لم تصل إلى القلوب، وبالتالي لم تجد مسلكا على الجوارح، ولم يستفد منها أحد.

فالله نسأله الإخلاص في السر والعلن، والعمل الذي يقربنا إليه سبحانه جل في علاه وعظم في عالي سماه.

**مسرد المراجع**

1. أحكام تجويد القرآن على رواية حفص بن سليمان لمحمد سعيد ملحس، شركة عبد الرحمن حجاوي، نابلس، فلسطين.
2. الجامع لأحكام القرآن للقرطبي، دار الشعب، القاهرة، مصر.
3. حقيقة الشيعة وهل يمكن تقاربهم مع أهل السنة لمحمد بيومي، ط1، 1427هـ، دار الغد الجديد، القاهرة، مصر.
4. رياض الصالحين للنووي، مطبعة بيت المقدس، القدس، فلسطين، 1412هـ.
5. سنن الترمذي، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، السعودية، ط1، 1417هـ.
6. سنن أبي داود، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، السعودية، ط1، 1417هـ.
7. السيرة النبوية لابن هشام، دار الجيل، بيروت، لبنان.
8. صحيح البخاري، دار ابن كثير، بيروت، ط3، 1407هـ - تحقيق : د. مصطفى ديب البغا.
9. صحيح الترغيب والترهيب للألباني، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، السعودية، ط1، 1421هـ.

10- صحيح مسلم، دار الجيل بيروت + دار الأفاق الجديدة ـ بيروت.

1. عون المعبود شرح سنن أبي داود للعظيم أبادي، المكتبة التوفيقية، القاهرة، مصر.
2. المعجم الأوسط للطبراني، دار الحرمين، القاهرة، 1415هـ، تحقيق : طارق بن عوض الله بن محمد ,‏عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني

**مسرد الموضوعات**

|  |  |
| --- | --- |
| المقدمة | 2 |
| الواجب الأول: حفظ القرآن والعناية به. | 5 |
| الواجب الثاني: تعليم الناس تلاوة القرآن. | 9 |
| الواجب الثالث: العمل به والدعوة إلى تطبيق أحكامه. | 12 |
| الواجب الرابع: البحث فيه واستخراج كنوزه. | 14 |
| الخاتمة | 16 |
| المراجع | 17 |
|  |  |